

وقال أبو قيس بن الأسلت الأنصاري المدني :

ومن صنعه يوم فيل الحبو
عاجتهم تحت أقرابه
وقد جعلوا سوطه مفلوا
فولى وأدبر ادراجيه
فأرسل من فوقهم حاصباً
يخص على الصبر أحبارهم
وقال أبو الصلت بن ربيعة الثقفي ، ويروى
إن آيات ربنا باقيات
خلق الليل والنهار فكل
ثم يملو النهار رب رحيم
حبس الفيل بالمغس حتى
لازما حلقه الجران كما قطر
حوله من ملوك كندة أبطال
خلفوه ثم ابذعروا جميعاً
كل دين يوم القيامة عند الب

ش إذ كل ما بعثوه رزم
وقد شرموا انفه فانخرم
إذا ييموه قفاه كلم
وقد بء بالظلم من كان ثم
يلفهم مثل لف القزم
وقد تأجوا كشواج الغنم
ما يماري فيهن إلا الكفور
مستبين حسابه مقدور
بهاء شعاعها منشور
صار يجبو كأنه معفور
من ظهر كبكب محذور
ملاويث في الحروب صقور
كلهم عظم ساقه مكسور
له إلا دين الحنيفة بور

وقد قدمنا في تفسير سورة الفتح أن رسول الله ﷺ لما أطل يوم الحديبية على الثنية التي تهبط به على قريش بركت ناقته فزجروها فألحت ، فقالوا خلأت القصواء أي حزنت ، فقال رسول الله ﷺ : «ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل - ثم قال - والذي نفسي بيده لا يألوني اليوم خطة يعظمون فيها حرمان الله إلا أجتهم إليها» ثم زجرها فقامت . والحديث من أفراد البخاري وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال يوم فتح مكة : «إن الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين ، وإنه قد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس ألا فيبلغ الشاهد الغائب» . آخر تفسير سورة الفيل ، والله الحمد والمنة .



[ذكر حديث غريب في فضلها] قال البيهقي في كتاب الخلافيات : حدثنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا بكر بن محمد بن حمدان الصيرفي بمرو ، حدثنا أحمد بن عبد الله المدني ، حدثنا يعقوب بن محمد الزهري ، حدثنا إبراهيم بن محمد بن ثابت بن شريحيل ، حدثني عثمان بن عبد الله بن أبي عتيق عن سعيد بن عمرو بن جعدة بن هبيرة عن أبيه عن جدته أم هانئ بنت أبي طالب أن رسول الله ﷺ قال : «فضل الله قريشا بسبع خلال : إني منهم وإن النبوة فيهم والحجابه والسقاية فيهم ، وإن الله نصرهم على الفيل ، وإنهم عبدوا الله عز وجل عشر سنين لا يعبد غيره ، وإن الله أنزل فيهم سورة من القرآن - ثم تلا رسول الله ﷺ : ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ لإيلاف قريش * لإيلافهم رحلة الشتاء والصيف * فليعبدوا رب هذا البيت * الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾» .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لإِيلَافِ قَرَيْشٍ ① إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ② فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ③ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ

مِّنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ ④

هذه السورة مفصولة عن التي قبلها في المصحف الإمام كتبوا بينها سطر بسم الله الرحمن الرحيم ، وإن كانت متعلقة بما قبلها كما صرح بذلك محمد بن إسحاق وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، لأن المعنى عندهما حبسنا عن مكة الفيل وأهلكتنا أهله لإيلاف قريش أي لائتلافهم واجتماعهم في بلدهم آمين ، وقيل المراد بذلك ما كانوا يألفونه من الرحلة في الشتاء إلى اليمن وفي الصيف إلى الشام في التجارة وغير ذلك ، ثم يرجعون إلى بلدهم آمين في أسفارهم لعظمتهم عند الناس لكونهم سكان حرم الله ، فمن عرفهم أحترمهم بل من صوفي إليهم وسار معهم آمن بهم ، وهذا حالهم في أسفارهم ورحلتهم في شتائهم وصيفهم ، وأما في حال إقامتهم في البلد فكما قال الله تعالى : ﴿أولم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم﴾ ﴿إيلاف قريش إيلافهم﴾ بدل من الأول ومفسر له ولهذا قال تعالى ﴿إيلافهم رحلة الشتاء والصيف﴾ وقال ابن جرير : الصواب أن اللام لام التعجب كأنه يقول اعجبوا لإيلاف قريش ونعمتي عليهم في ذلك ، قال وذلك لإجماع المسلمين على أنها سورتان منفصلتان .

ثم أرشدهم إلى شكر هذه النعمة العظيمة فقال : ﴿فليعبدوا رب هذا البيت﴾ أي فليؤدوه بالعبادة كما جعل لهم حرماً آمناً وبيتاً محرماً كما قال تعالى : ﴿قل إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرماً وله كل شيء وأمرت أن أكون من المسلمين﴾ وقوله تعالى : ﴿الذي أطعمهم من جوع﴾ أي هورب البيت ، وهو الذي أطعمهم من جوع ﴿وآمنهم من خوف﴾ أي تفضل عليهم بالأمن والرخيص فليفرده بالعبادة وحده لا شريك له ، ولا يعبدوا من دونه صنماً ولا ندا ولا وتناً ، ولهذا من استجاب لهذا الأمر جمع الله له بين آمين الدنيا و آمين الآخرة ، ومن عصاه سلبها منه كما قال تعالى : ﴿ضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون﴾ ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون﴾ ، وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا عبد الله بن عمرو الغزي حدثنا قبيص حدثنا سفيان عن ليث عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول وويل لكم قريش لثلاف قريش ثم قال حدثنا أبي حدثنا المؤمل بن الفضل الحراي حدثنا عيسى يعني ابن يونس عن عبيد الله بن أبي زياد عن شهر بن حوشب عن أسامة بن زيد قال سمعت رسول الله ﷺ يقول ﴿إيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف ويحكم يا معشر قريش اعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمكم من جوع وآمنكم من خوف﴾ هكذا رأيته عن أسامة بن زيد وصوابه عن أسماء بنت يزيد بن السكن أم سلمة الأنصارية رضي الله عنها فلعله وقع غلط في النسخة أو في أصل الرواية والله أعلم .

سُورَةُ الْمَاعُونِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ﴿١﴾ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحِضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣﴾
فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾

يقول تعالى : أرأيت يا محمد الذي يكذب بالدين وهو المعاد والجزاء والثواب ﴿فذلك الذي يدع اليتيم﴾ أي هو الذي يقهر اليتيم ويظلمه حقه ولا يطعمه ولا يحسن إليه ﴿ولا يحض على طعام المسكين﴾ كما قال تعالى : ﴿كلا بل لا تكرمون اليتيم﴾ ولا تحاضون على طعام المسكين﴾ يعني الفقير الذي لا شيء له يقوم بأوده وكفايته ، ثم قال تعالى : ﴿فويل للمصلين﴾ الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾ قال ابن عباس وغيره : يعني المنافقين الذين يصلون في العلانية ولا يصلون في السر ولهذا قال : ﴿للمصلين﴾ الذين هم من أهل الصلاة وقد التزموا بها ثم هم عنها ساهون ، إما عن فعلها بالكلية كما قاله ابن عباس ، وإما عن فعلها في الوقت المقدر لها شرعاً فيخرجها عن وقتها بالكلية ، كما قاله مسروق وأبو الضحى .

وقال عطاء بن دينار : الحمد لله الذي قال ﴿عن صلاتهم ساهون﴾ ولم يقل في صلاتهم ساهون ، وإما عن وقتها الأول فيؤخرونها إلى آخره دائماً أو غالباً ، وإما عن أدائها بأركانها وشروطها على الوجه المأمور به ، وإما عن الخشوع فيها